

الأسس الفلسفية للتسامح

Philosophical foundations of tolerance

أحمد شيال غصيب، الجامعة المستنصرية، (العراق)، dralimajeed82@gmail.com

تاريخ إرسال المقال: 05-09-2021 تاريخ قبول المقال: 15-10-2021

ملخص:

تباينت الآراء والمواقف في بيان أهمية التسامح ودوره في بناء المجتمع المعاصر، بين من يقول ان التسامح فكرة دينية وبين قائل بأنها ثقافية وآخر انها سياسية بامتياز، أو أن مصطلح التسامح انتقل تدريجياً وتطور تاريخياً من الدين الى الثقافة والسياسة وحقوق الانسان، والتسامح هو الطريق الى الشعور بالسلام الداخلي والسعادة وهو سبيلنا الى الطمأنينة رغم الشعور بالألم، والاستمرار بالحياة بعد تعرضنا للإيذاء من الآخرين، ويساعدنا على تحمل مسؤولية ما نشعر به، وعدم التوقف عن الأمل لمجرد اننا تعرضنا لألم ما، وهو عموماً سلوك الشخص الذي يتحمل بدون ان يحتج او يتذمر ما يحصل من انتهاك لحقوقه الشخصية، في حين انه بإمكانه التصدي ورد الفعل، وهو أيضاً ان تغض السلطة الطرف عن السلوك الذي جرت به العادة والذي يخرج عن القانون الذي مطالبة السهر على تطبيقه، وبفسر هذا اللفظ كذلك السلوك المتمثل في جعل الآخرين احراراً كي يبدو آراءهم ويعبروا عن مواقفهم الشخصية دونما خشية.

كلمات مفتاحية: التسامح، حقوق الإنسان، التعايش، الحوار، فلسفة التسامح.

Abstract:

Opinions and positions varied in explaining the importance of tolerance and its role in building contemporary society, between those who say that tolerance is a religious idea and those who say that it is cultural and others that it is political par excellence, or that the term tolerance gradually moved and developed historically from religion to culture, politics and human rights, and tolerance is the way to feeling With inner peace and happiness, it is our way to reassurance despite feeling pain, and to continue living after we have been harmed by others, and helps us to take responsibility for what we feel, and not to stop hoping just because we have experienced some pain, which is generally the behavior of a person who bears without protesting or complaining about what happens. of a violation of his personal rights, while he can stand up and react, which is also the authority to turn a blind eye to the behavior that was customary and which goes outside the law that is required to ensure its application, and this term also explains the behavior of making others free to express their opinions and express their opinions Their personal positions without fear.

Keywords: Tolerance, Human rights, Coexistence, Dialogue, The philosophy of tolerance.

مقدمة:

تباينت الآراء والمواقف في بيان أهمية التسامح ودوره في بناء المجتمع المعاصر، بين من يقول ان التسامح فكرة دينية وبين قائل بأنها ثقافية وآخر انها سياسية بامتياز، أو أن مصطلح التسامح انتقل تدريجياً وتطور تاريخياً من الدين الى الثقافة والسياسة وحقوق الانسان، والتسامح هو الطريق الى الشعور بالسلام الداخلي والسعادة وهو سبيلنا الى الطمأنينة رغم الشعور بالألم، والاستمرار بالحياة بعد تعرضنا للإيذاء من الآخرين، ويساعدنا على تحمل مسؤولية ما نشعر به، وعدم التوقف عن الأمل لمجرد اننا تعرضنا لألم ما⁽¹⁾، وهو عموماً سلوك الشخص الذي يتحمل بدون ان يحتج او يتذمر ما يحصل من انتهاك لحقوقه الشخصية، في حين انه بإمكانه التصدي ورد الفعل، وهو ايضاً ان تغض السلطة الطرف عن السلوك الذي جرت به العادة والذي يخرج عن القانون الذي مطالبة السهر على تطبيقه، ويفسر هذا اللفظ كذلك السلوك المتمثل في جعل الآخرين احراراً كي يبدو آراءهم ويعبروا عن مواقفهم الشخصية دونما خشية⁽²⁾. ويقترن التسامح بالديمقراطية وحقوق الانسان، فهو ضرورة وجودية وقيمة انسانية حياتية تفرضها سنة الوجود المنطلقة من التنوع في الطبع الانساني والصورة الادمية في دلالة كون الانسان مدنيًا بالطبع وفي التنوع في الخصوصيات العرقية والدينية والثقافية والاجتماعية، فالتسامح اتجاه في السلوك يحمل فكرة التواصل بين الانا والآخرين⁽³⁾، فالتسامح فكرة اخلاقية وفكرية، لمواجهة التشدد والتزمت والتعصب والانغلاق والانحياز⁽⁴⁾ ومن هنا جاء التسامح نفسياً يشير الى ضرورة التخلي عن الانتقام، بمعنى التحويل من الحالة السلبية الى الايجابية، التغلب على مشاعر الغضب والمرارة، وصرف الذهن عن الانفعالات والسلوكيات السلبية تجاه المسيء⁽⁵⁾ عملية تعديل في السلوك والافكار، لذلك توجد ثلاثة مكونات للتسامح:

1- المكون المعرفي (العقلي)، تسامح الفرد مع من أساء اليه.

2- المكون الوجداني، المشاعر الايجابية تجاه المسيء.

3- المكون السلوكي، السوك الايجابي مع المسيء.

فالتسامح يتضمن ما يأتي، تخلي المساء اليه عن المشاعر والافكار والسلوكيات السلبية كالغضب والغيط والرغبة في الثأر، وكذلك نمو الانفعالات والافكار الايجابية تجاه المسيء كالشفقة والرحمة وابداء السلوكيات الخيرية تجاهه⁽⁶⁾.

ان التنوع ضرورة من اجل بقاء الوجود الانساني، لكن هذا التصور في ظل ما يحدث غير مقبول على أرض الواقع، حيث يطغى اللا تسامح مع علاقة الفرد بذاته وبالأخر الفردي والجماعي، الامر الذي يولد الحقد والبغضاء ويدمر العلاقات الاجتماعية، اذ يسد كل منافذ التفاعل بين المجال النفسي وما يحيط به، وهو ما يجري في العالم من عنف واحتلال وقتل، اي مجاله النفسي الاجتماعي⁽⁷⁾.

يقوم التسامح من فرضيات فلسفية اساسية:

أ- نسبية المعرفة وعدم العصمة من الخطأ.

ب- قبول التعددية والاختلاف وحقوق الآخرين، العدالة وضمن مبادئ المساواة.

فالتسامح قائم على اساس فلسفي هو القول بنسبية المعرفة، وبالتالي لا يحق لاحد امتلاك المعرفة المطلقة سواء كان في المعتقد او الآراء والافكار ونبذ الآخر المختلف دينياً وثقافياً، فالآخر يمتلك ايضاً وعياً وله الحق في القول والحق في الاختلاف.

1- التسامح وتمفصلاته Tolerance and its details

للتسامح علاقات متعددة ومتداخلة مع بعض المفاهيم السائدة في الثقافة العامة، مثل مفهوم التعايش والتصالح والتساهل والتواصل بل حتى رفض التسامح مع كل ما فعل كارل بوير وامبرتكو إيكو وكذلك العلاقة مع الآخر المختلف فرداً وجماعةً.

واحدة من أهم المفردات في بناء مجتمع مدني قائم على أسس فلسفية هي ادارة التعايش اتي تعني الاعتراف المتبادل بالقناعات والمعتقدات سياسية ودينية أو الدعوة الى المواطنة، اي التساوي بالحقوق والواجبات، لتحقيق المصلحة العامة ومواجهة الاخطار⁽⁸⁾، من أجل بناء رفض الحضارة والمجتمع، المشكلة الاساسية هي حالة القلق من الآخر، حيث تسود اجراءنا حالة من الشك والارتياب تجاه الآخر، اننا مشغولون بمعاركن الداخلية وجهودنا وامكانياتنا مستنزفة في تلك المعارك. ضرورة التوافق على مبدأ التعايش والقبول بالآخر ومشاركته بدل التفكير في الغائه او تجاهله أو تهيمشه، ينطلق التعايش في ان التعدد والتنوع الديني والثقافي والقومي ظاهرة كونية وان الاديان والفلسفات توجهنا نحو التعاطي الايجابي

مع واقع الاختلاف والتنوع والتعددية داخل المجتمع الواحد نفسه وداخل المجتمع العالي، وهنا نلاحظ التداخل بين التسامح بوصفه ادارة في قبول الآخر ضمن افق حضاري كوني واردة التعايش بوصفه قبول الآخر المختلف من اجل ايجاد اسس لبناء حياة مشتركة يسودها الاحترام المتبادل للعقائد والافكار، كذلك ان التسامح بدون التواصل غير ممكن، لان التسامح سؤال عملي وليس سؤالاً فلسفياً مجرداً، فإننا نعيش مع الغير ونتألم معاً ونحاول التعبير آلامه فالتسامح بدون لغة غير ممكن كذلك، لان التواصل بدون لغة غير ممكن ومن هنا فالتواصل مسألة يتجلى من خلالها التسامح باللغة.

للتسامح علاقة مع التصالح سلباً وإيجاباً، فالتصالح هو استعادة الثقة بالآخر، فهو رغبة في أن يعمل طرفي العلاقة معاً، لكن التسامح رغبة في اقامة علاقة مع الآخر دون العمل، التصالح والتسامح عمليتان مستقلتان، التسامح يحدث في ظل التصالح، إذًا هو عملية احادية تتجاوز عن المساء اليه عن المسيء، في حين التصالح عملية تبادلية بين طرفين، لكن هل يعني التسامح التجاوز عن اخطاء الآخرين؟ الاجابة بالطبع، فالتسامح عملية ايجابية هدفها تعديل موقف الاساءة أو اعادة تصحيحه بما يعود بالخير على كل من المساء اليه والمسيء والتسامح لا يعني خرق المعايير او القواعد انما هو التخلي عن الثأر والرغبة في الانتقام، سواء بصورة مادية او رمزية⁽⁹⁾، إذًا وفق منظور علم النفس الاجتماعي الذي يميز بين التسامح الحقيقي يتضمن الجانب المعرفي والسلوكي بمعنى حدوث تغيير حقيقي في افكار الفرد ومشاعره تجاه الآخر والتسامح الزائف فقط سلوكيات تنم عن التسامح، تأتي استجابة للضغط من الآخرين، وهنا التسامح مع الآخر التغاضي عن الاساءات الموجهة للذات من قبل الآخر⁽¹⁰⁾ كذلك للتسامح علاقة وطيدة مع شرعية الاختلاف في العالم، العلاقة بين الذات والآخر، فالاختلاف ضرورة لكن لا يترك له المجال ليتحول الى خلاف، في عالم لا تزال تعاني البشرية من هيمنة القوي على الضعيف ومن صراع المتزاحمين على المنافع والمصالح، فالحرية هي من يمثل انسانية الانسان في فكره وحق التعبير عن رأيه، الحرية الموجهة نحو الخير بمعنى قبول حرية الفكر واحترام اراء الآخرين، توجد الكثير من نوازع ودوافع الاختلاف، منها التباين في نسب الذكاء، النظرة الى واقع الحياة فردية وجماعية، هذه الفوارق بالامكان حلها من الحرية الموجهة التي تعني ان يأخذ الانسام حقوقه كاملة ويعطي الآخرين حقوقهم كاملة⁽¹¹⁾، ونلاحظ هنا وجه التشابه بين الحرية الموجهة والتسامح، وهنا يمكننا القول ان التسامح هو

حرية موجهة للحقوق والواجبات، اجتماعياً، ودينياً وسياسياً في احترام الرأي الآخر الذي هو ضرورة حضارية، وكونية وإنسانية، فالاختلاف ضرورة واقعية بشرط الاحترام، والتعددية دليل ثروة، ليس الاختلاف المشكلة انما المشكلة في ادارة الاختلاف.

في الحاجة الى التسامح In need of tolerance

قبل الحديث عن الحاجة الى التسامح، لابد من وضع بعض الدوافع والاسباب للتسامح،

1- الاحكام المسبقة، الاحكام الجاهزة سلوكيات مضادة للآخر.

2- ثنائية الخير والشر، حب، كره، تحديد جماعة ما، فرد على انه مختلف وبالتالي كسره

3- التنافس على القوائم واقصاء الطرف الآخر.

4- الخوف من الاستبعاد الاجتماعي، نحن وهم، واعتقاد جماعة ما بأنها مركز العالم.

هذه بالشكل العام مجمل الاسباب والدوافع من نشوء اللاتسامح، لكن من أين تتبع الحاجة الى التسامح، لعل الحاجة الى التسامح تتبع من ضياع الانسان في عالم تكنولوجي عنيف حول الانسان الى أداة بيد الآلة بعد ان كانت الآلة أداة بيد الانسان، فالانسان تحول الى شيئاً تتحكم فيه التقنية، بالرغم فائدتها ولكنها تفرض عليه شروطه، فالانسان موجه، حكم عليه باداء دور محدد وظيفياً، سياسياً، اجتماعياً، فالانسان وجد في عالم تكنولوجي يخضع له كلياً ولنتائجه، افجار العالم الشخصي والاخلي، وتحطيم الانا الى ذرات، ذلك الانا الباحث عن ذاته والهارب من ذاته، في آن واحد.

ان الانا قد ضاع كأي به قد سحق الى عناصر متفرقة، مازال يسعى الى جمعها وفق القوانين ذات النمط التقني بواسطة تجميعها أو اخضاعها لعلاج خارجي⁽¹²⁾ الحاجة الى تسامح اصحاب رأس المال مع العمال والمصانع الذين غابت انسانياتهم تماماً، أمام وجه الآلة وأصبح ترساً في آلة عملاقة، غابت كينونة واصبح مجرد أداة، ذلك ان التسامح بمعنى الاعتراف بوجود الآخر المختلف في الدين والمجتمع والعمل

السياسي فهو عودة المجتمع الى حالة التعدد والسلام الداخلي للجماعة والتلائم مع العالم، فالتسامح هو ثقة في العيس المشترك⁽¹³⁾ والاعتراف بحقوق الغير ومعاناة الفئات المستضعفة⁽¹⁴⁾.

ان الحاجة الى التسامح تأتي لايقاف ثقافة الموت والاحتراب والاقصاء، وتحويل نقاط الخلاف الى مساحة للحوار والتفاهم بدل الاقتتال والتنافر وذلك يكون من:

1- استهداف البنى الفكرية والعقيدية للمجتمع.

2- اعادة صياغة العقل والاولويات والوعي.

3- نقد المفاهيم والقيم والسلوك والتخلي عن العنف⁽¹⁵⁾.

فالتسامح يمكن من خلال تغيير الاطر الفكرية السائدة للعقائد داخل المجتمع، وذلك يكون بإعادة بناء العقل وتنوير الوعي بداخله، والدعوة الى قراءة واعية للذات والآخر ترفض الهيمنة الاحادية وتدعو الى التمسك باحترام يم التسامح للخروج من ازمة الصراعات.

2- التسامح عند الفلاسفة Tolerance for philosophers

أن أهم ما في رسالة جون لوك للتسامح، هو تقرير الحرية الفردية في الشؤون الدينية.

لا سلطان لاحد سواء أ كانت الكنيسة أم الحكومة في حق تقرير المصير الفردي في الاعتناق، ومن هنا فرق بين الحكومة المدنية والدينية، تجاوز الخلاص الفردي، بالاضافة الى ان حرية الضمير حق طبيعي لكل انسان⁽¹⁶⁾.

يقول جون لوك " ليس لاي انسان السلطة في ان يفرض على انسان اخر ما يجب عليه ان يؤمن به أو ان يفعله لاجل تجاه روحه هو، لان هذه المسألة شأن خاص ولا يعني اي انسان اخر، ان الله لم يمنح هذه السلطة لاي انسان، ولاية جماعة ولا يمكن اي انسان ان يعطيها لانسان اخر فرقه اطلاقاً ويرجع هذا الى سببين:

1- الناس في كل الدول معرضون للخطأ سواء أ كانوا حكامًا أم كانوا محكومين.

2- لا قائدة في استعمال القوة⁽¹⁷⁾.

بايبل (1647-1706) معاصر لوك، فيلسوف فرنسي من عائلة بروتستانية، يرفض بايبل موقف القديس اوغسطين القائل بجواز قمع المخالفين ويعتبر ذلك عملاً حلال مادام يصب في مصلحة الكنيسة بالرغم من تنديد المسيحية بالقمع، فكيف يكون حلالاً على المسيحيين قمع المخالفين في حين انهم يندون بالقمع، لذلك قتل المسلم الذي يدعو الى دينه، بل المواجهة بالحجة والحوار وبشرط عدم تعكير النظام والولاء للملك وعلى الملك المسيحي الذي يستولي على بلاد اسلامية ان لا يمنع الشعائر لذلك يعتبر الاسلام اكثر تسامحاً من المسيحية لانه لم يمنع الشعائر المسيحية⁽¹⁸⁾.

التسامح شامل لكل العقائد والمذاهب، شرط عدم الاخلال بالنظام العام وشرط ذلك هو حرية الضمير.

أما جون لوك رفض التسامح مع الملحد، الكاثوليكي والمسلم فالكاثوليكي ولاءه للسلطة خارج الدولة، والمسلم ولاءه للمفتي.

تأتي أهمية تفكير لوك في مسألة التسامح آنية من فصله الحاسم بين الدولة والدين، بين مجتمع السياسة ومجتمع الكنيسة، مهمة الدولة ضمان حرية الافراد وأمنهم وصون ملكياتهم وليس تدبير الدولة بالدين، أما الكنيسة جمعية حرة أرادية وهي إذًا ليست جماعية طبيعية والدين من حق الكنيسة والسجن والعذاب، فالدولة وحدها لها صلاحية ادارة المجتمع المدني بقوانين مدنية.

فولتير - قوة الرأي العام باعتباره سندًا للتسامح.

قضية جان كالاس وكشف استقبلته الجماهير.

خروج التسامح من فكر النخبة لتصبح فكرة عامة بين الناس سندها رأي عام⁽¹⁹⁾.

يقول فولتير "اننا نتوفر على مايكفي من الدين لكي نكره ونضطهد، ولكننا لا نملك فيه الا القليل من أجل الحب وتقديم العون للآخرين"⁽²⁰⁾، "لقد جاء الدين من أجل اسعادنا في هذه الحياة وفي الاخرة انما شروط

السعادة في الحياة الآتية هو ان يكون المرء عادلاً، وماذا على المرء القيام به لكي يكون عادلاً ؟ هو ان يكون متسامحاً⁽²¹⁾، "لقد أعدّ الاثينيون محراباً لآلهة الاجنبية، الآلهة التي لم يكن بإمكانهم معرفتها، فهل هنالك من حجة أكبر من هذا التسامح مع كب الالم ومع دياناتهم في الوقت ذاته"⁽²²⁾.

فولتير ضد الانغلاق من الدين والجمود والتعصب ويقدم في كتابه قول في التسامح أدلة تاريخية من اليونان الى عصره بضرورة التسامح مع الاديان ورفض الحكم على الآخرين انطلاقاً من مبدأ ديني يختلف مع الآخرين واعتبار العقل، أفضل وسيلة من وسائل التسامح.

قد يكون التسامح حاصل قناعة مصدرها الفرد ذاته فنحن كائنات مختلفة في الطبائع والامزجة والاحاسيس، ولكنه في الاصل مبدأ عام يمكن وفقه ادارة الشأن الجماعي.

التسامح حاجة وليس اختياراً حراً⁽²³⁾، حاجة للاطمئنان والعيش المشترك فهو ضابطة تحدد المشاعر والانفعالات والاهواء، تضيق لمساحات الصراع والتغالب على الخبرات المادية والمعنوية وضدًا على الاكراهات الغيرية، التسامح ضرورة، لان انعدام الحوار يعني الاقتتال ربما على بيان فكرة أو شرح نصاً دينياً، مادام التعصب هو سيد الموقف، التسامح احساساً بالقوة هو موقف انساني فردي أو جماعي، وهو موقف من يملك سلطة يمارسها بحسب مشيئته ومزاجه لذلك قد يتسع فضاءه احياناً لكي يشمل كل الناس، وقد تضيق دائرته لكي لا يستوعب سوى الآخر المختلف في الدين والثقافة واللغة⁽²⁴⁾

3- الموقف من التسامح مع الفكر الفلسفي المعاصر The position of tolerance with

contemporary philosophical thought

الفيلسوف الايطالي المعاصر امبرتو ايكو يرى ان كلمة التسامح في الفكر الغربي المعاصر، هي كلمة مميزة منذ كتب لوك رسالة في التسامح وكذلك فولتير، وهو يرى ان خلق سياسة التسامح هدف لا يترأى ان نضعه نصب اعيننا، وانه لا يوجد مانع من استخدام عبارة مثل قبول اوجه الاختلاف بدلاً من التسامح فهي حسنة.

البعض يرى ان التسامح هو مصطلح لا متسامح، لانه يتضمن قبول من هو ادنى منا مرتبة، لكن لا بد من التسامح معه انطلاقاً من مبدأ الادب، والمجتمع متفق على معنى اللا تسامح له طابع سلبي، وله صراحة قاسية، في حين ان التسامح أو بعض ألوان التسامح فيها نفاق ويخفي بعض التحفظات الذهنية، فهو يرى ان التسامح له أبعاد تربوية أولاً، فهو نتاج التربية التي تعلم كيف يكون التسامح⁽²⁵⁾

التسامح في مفهومه السياسي Tolerance in its political concept

يذهب الفيلسوف الكندي واستاذ الفلسفة السياسية كيملكا الى ان التسامح فضيلة ضمن اطر معينة، والّا يصبح تجاوزاً لمبدأ المساواة والحقوق الفردية، "التسامح يعد فضيلة بذاته، لكن ضمن حدود معينة وحسب، والا فإنه سيشكل مصدر تهديد لمبدأ المساواة والحقوق الفردية"⁽²⁶⁾.

فهو من القائلين بأن التعددية الثقافية تثير التسامح ولكن بأي معنى، هل تسامح مع الثقافات الفرعية رغم انتهاكها الحقوق المدنية والسياسية، باعتبار ان التسامح هو موقف ايجابي تجاه الآخرين، لذلك يلجأ كيملكا من تحديد مفهوم التسامح الى من خلال تحديد الحقوق الجماعية والتي تنقسم الى حقوق الاستقلال الذاتي وحقوق التعددية الاثنية وحقوق التمثيل السياسي الخاص من جهة وعلاقة الحقوق الجمعية بالحقوق الفردية، فهو يسعى الى خلق توازن بين الاقلية والاكثريّة من أجل استقرار الدولة ودوامها⁽²⁷⁾.

ان ما يذهب اليه كيملكا هو جعل التسامح فضيلة للاكثريّة من اجل خلق توازن بينها وبين الاقلية، والفضيلة هنا مفهوم سياسي اخلاقي بمعنى ان يمنحك الآخر حق الاحترام والاندماج ضمن مؤسسات الدولة واحترام الديمقراطية واحترام التنوع الثقافي باعتباره عامل مهم في بناء الليبرالية والدولة.

سلافوي جيّك Slavoj Zizek

ينطلق سلافوي جيّك من توظيف كانط للعقل المحض في بيان تناقضات العقل الاوربي والاسلامي الذي يدعي التسامح، مادام العقل الانساني متناهي فهو يقع في تناقض عندما يحاول تجاوز المحسوس، فالتناقض يبرز عندما تتساوى الاجابات، مثلاً هل للكون بداية، وهل له حدود، بالامكان الاجابة بنعم ولا، فالكون متناهٍ وغير متناه، ومن وجهة نظر كانط اذا لم يحل هذا الصرع بالعقل، فالانسانية تسير نحو عالم

من الشك، يدعوه جيجك بأسم الموت الرحيم للعقل المحض⁽²⁸⁾، يتخذ جيجك من قضية الرسوم الكاريكاتورية ضد النبي محمد ﷺ مثلاً على هذا التناقض الذي يقع فيه العقل المتسامح.

هنالك موقفان متضادان هما الليبرالي الغربي والمؤمن بحرية الصحافة يرى ان المسألة وان كانت تدعو الى الاشمئزاز لكن حق الضروري احترام حرية الصحافة وعدم اللجوء الى العنف وكان على المسلمين الذهاب الى المحاكم وعدم اتهام شعب بأكمله بالاساءة، ردود فعل المسلم جاءت بعدم الوعي بالمبدأ الغربي القائل "بوجود مجتمع مدني مستقل، لا يخضع لرغبات الحكومة"⁽²⁹⁾، المسألة الاساسية هي ايمان المسلم بالمكانة المقدسة لكتابه ونقد المقدسات والاستهزاء بها الذي يعد جزءاً من الثقافة الاوربية امر لا يمكن تصويره في ثقافة المسلم، بالمقابل الليبرالي الغربي يرى ان هنالك عدم احترام من قبل بعض البلدان الاسلامية المعادية للسامية والمسيحية، خصوصاً في كتب المدرسة والصحافة وهو يتخذ من رجل الدين الشيخ تاج الدين الهلالي الداعية الاسلامية في استراليا، عندما صرح بشأن سجن عدد من المسلمين بتهمة الاغتصاب، بأن القطط تأكل اللحم المكشوف، في عقد مقارنة بين الحجاب وعدم الحجاب اللحم المكشوف، مما اثاره الغربي، باعتبار المرأة هي المسؤولة عن سلوك الرجل الجنسي وهذا يوصي بعجز الرجال كلياً عن ضبط أنفسهم عند مواجهة النساء، في حين ان اكتشاف النساء في الغرب ينطلق من فرضية قدرة الانسان الغربي على ضبط أنفسهم جنسياً وانهم ليسوا عبد الغرائز، فالتسامح يعني هنا ان الغربي يرى في الجنس واجب وليس متعة فقط⁽³⁰⁾.

في حين ينظر دعاة التسامح مع القائم على التعددية الثقافية، يرون ان اعمال العنف ضد الرسوم الكاريكاتورية دوافع لا علاقة لها بالرسوم، بل هي ردة فعل ضد خيبات الامل من الغربي، والاستغلال الرأسمالي، بالاضافة الى ان الجريدة الدنماركية سبق ورفعت رسوم مسيئة للمسيح، بالاضافة فشل المسلمون في اجراء الحوار مع السلطات لكن جرى تجاهلهم، كل ذلك ساعد على انتهاء كما يقول جيجك "اسطورة التسامح"⁽³¹⁾.

يعتقد ان نهاية اسطورة التسامح الاوربي ليس في صراعها مع المسلمين فقط بل داخل الثقافة الاوربية نفسها وموقفها من الهولوكوست، معاقبة من يتخذ موقف منها وكذلك الموقف الاسلامي منها والسجلات

والصراعات حولها بين رافض لها وبين مؤيداً لها وبين من يدعي انها حادثة وضعها اليهود لبناء كيانهم في فلسطين بمساعدة اوربا التي تشعر بالعار والخزي ازاء هذه المحرقة.

ويعود جيجيك الى كانط مرة اخرى لتوفر نوع من الحل، ليست المسألة عند جيجيك (الهولوكوست) من استحضارها تبرير شرعية الاجراءات السياسية، بل استحضارها لتجريد هذه الاجراءات من الشرعية، وفرض قيود على افعالنا السياسية، فإدانه هكذا افعال مثل المحرقة هي ادانة مبررة⁽³²⁾، غضب المسلمين في اوربا هو بمثابة انقلاب هذا التسامح مما دعى البعض فمن ينصب العداء للإسلام الى القول ان التسامح مع المسلمين جعلهم اكثر عنفاً "تجيد هذه الكوكبة عادة انتاج مفارقة الانا العليا: كلما زادت اطاعتك اوامر الآخر، كانت ذنوبك أثقل ويبدو انه كلما زاد التسامح مع الاسلام زاد تعرض التسامح لخطر اكبر من الضغط"⁽³³⁾، وهو ما يسمى بغياب التناظر عن التسامح، وهو يعني ان الآخر يتسامح يقدم تنازلات ويعتذر في مقابل عدم احترام الآخر لهذه التنازلات وتمسكه بآرائه وعقيدته ولا يتنازل عن شيء، وتلك هي الاشكالية الاساسية في التسامح التي هي ان التسامح الليبرالي ذو النزعة الثقافية يقوم على لوم الذات واحترام الآخر في عنفه وكراهيته وحقده، وهنا يثار السؤال المهم "الى أي مدى يجب التسامح ان يذهب من أجل التسامح"⁽³⁴⁾.

يذهب جيجيك الى رفض الرسوم الكاريكاتورية للنبي محمد ﷺ وفي المقابل رفض العنف من قبل المسلمين، وهنا تبرز اشكالية الحرية والمسؤولية، الحرية مع المسؤولية، انت حر شرط اختيار سليم، انت حر بشرط عدم الممارسة، اذاً كيف الحل؟ يذهب جيجيك بأنه لا يوجد حل صحيح وحل خاطئ، بل مشكلات صحيحة ومشكلات خاطئة " ان رؤية المشكلة، أي مشكلة للمعيار السليم بين احترام الآخرين مقابل حريتنا في التعبير تبقى بذاتها نوعاً من عملية التعمية والارباك"⁽³⁵⁾.

يرى جيجيك ان التحليل الدقيق يظهر ان لدى الطرفين المتعارضين نزعة نحو التضامن بالرغم من الخلاف الظاهر، فالتسامح الليبرالي قائم على الاحترام، وهو لاعمى له الا اذا كان احتراماً لأولئك الذين لا اتفق معهم، فالمسلم عندما يطلب بأن يطبق مبدأ الاحترام فإنه يسلم باطار الخطاب الليبرالي، الاستهزاء ليس موقف كراهية فقط بل حري بالآخر حيث يتألم وهو في اساس مشكلة دينية⁽³⁶⁾.

يرى في حال عدم تجنب هذا المسار المرعب، هو خضوع المجتمع الى سلطات دينية وسياسية وعاظ التسامح واحترام معتقدات الآخرين، يصل جيجيك ان حلاً لجميع مشاكل المجتمع المعاصر الليبرالي والمسلم فيه من خلال عودة تنسيق أبعاد العلمنة ونهاية الاوهام واعادة اكتشاف المقدس، كما يقول "جرعة موازنة من الاتحاد العميق"⁽³⁷⁾.

الشعور بقوة المعتقدات الدينية وضرورة اخذها في الحسبان، وكذلك ضرورة فهم حدود التحرر العلماني من الاوهام ليس من الضروري استفزاز الآخرين بتصريحات مؤلمة، وضرورة احترام معتقدات الآخرين من خلال عدم شعور الآخر بالإهانة والمحافظة على اوهامه او اعتماد موقف حيوي قائم على التعددية وبالتالي رفض العنف⁽³⁸⁾.

التسامح مقولة أيديولوجية Tolerance is an ideology

يتسائل ما السبب في تصور الكثير من المشاكل على انها مشاكل تعصب وعدم تسامح، في حين ان السبب الحقيقي يكمن في التفاوت وانعدام المساواة، لماذا الحل هو التسامح، بدلاً من التحرر والنضال السياسي وحتى الكفاح المسلح في اعتقاد جيجيك ان المشكلة نابعة من التصور الايديولوجي لتعددية الثقافة الليبرالية التي تحاول إلباس السياسة ثوباً ثقافياً، وإضفاء الثقافة على السياسة، يجري تحويل الى الخلافات وهي خلافات مشروطة بعدم التكافؤ الى جعلها خلافات ثقافية، حضارية في انماط الحياة التي يتعذر تجاوزها وبالتالي من الضروري التسامح معها ومحاولة اضعاف الصفة الثقافية، هو استسلام واخفاق في الحلول السياسية، على سبيل المثال دولة الرفاه والدولة الاشتراكية فهو يرى ان دليل المشروع السياسي الفاشل هو التسامح⁽³⁹⁾.

المصادر References

- 1- ميشيل إ. ماكلو وآخرون، التسامح النظرية والبحث والممارسة، ت: عبير محمد أنور، ص9، المركز القومي للترجمة، العدد 2057، ط1، القاهرة، 2015.
- 2- جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص104، دار الجنوب، تونس، 2004.
- 3- رعد سليم داود، مفهوم التسامح الاسلامي وانعكاساته على واقعية التعايش السلمي، ص 66 مجلة دراسات فلسفية، العدد 36، بيت الحكمة - بغداد، 2015.
- 4- المصدر نفسه، 266.
- 5- صالح بريك، الكره أو اللاتسامح مع الآخر، ص7، خطوات للنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 2010.
- 6- ميشيل إ. ماكلو، التسامح النظرية والبحث والممارسة، ص20، سبق ذكره.
- 7- المصدر نفسه، ص7.
- 8- صالح بريك، الكره أو اللاتسامح مع الآخر، ص7، سبق ذكره.
- 9- حسن الصفار، التنوع والتعايش مدخل لتأسيس الشراكة الحضارية، ص87، دار الصفوة، ط1، بيروت، 1997.
- 10- ميشيل إ. ماكلو، التسامح النظرية والبحث والممارسة، ص14، سبق ذكره.
- 11- المصدر نفسه، ص15.
- 12- عبد الله اليوسف، شرعية الاختلاف، دراسة تأصيلية منهجية للرأي الآخر، ص83، دار الصفوة، دمشق، 1996.
- 13- آلان بيرد، التقنية والسلطة والعنف، مقالة ضمن كتاب المجتمع والعنف، ص48، ت: الاب الياس زحلاوي، م/ انطوان مقدسي، ط بلا، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1975.
- 14- رضون السيد، في الحاجة الى التسامح، ضمن كتاب الطائفية والتسامح والعدالة الانتقالية، ص109، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2013.
- 15- عبد الحسين شعبان، في الحاجة الى التسامح ثقافة القطيع والتواصل، ص129، ضمن كتاب الطائفية والتسامح والعدالة، سبق ذكره.

- 16- ماجد الغريايوي، التسامح ومنابع اللاتسامح فرص التعايش بين الاديان والثقافات، ص11، ط1، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 2006.
- 17- جون لوك، رسالة في التسامح، ص57، ت: عبد الرحمن بدوي، ط1، مركز دراسات فلسفة الدين، بغداد، 2006.
- 18- المصدر نفسه، ص47.
- 19- علي اومليل، من التسامح الى التعددية، ضمن كتاب الطائفية والتسامح والعدالة، ص101، سبق ذكره.
- 20- المصدر نفسه، ص104.
- 21- فولتير، قول في التسامح، ص20، ت: سعيد بنكراد، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2015.
- 22- المصدر نفسه، ص16.
- 23- المصدر نفسه، ص62.
- 24- المصدر نفسه، ص13.
- 25- مايكل انجلو باكوبوتشي، اعداء الحوار : اسباب اللاتسامح ومظاهره، تقديم أمبرتو ايكو، ص15-ص17، ت: د. عبد الفتاح حسن، ط1، دار شرقيات، القاهرة، 2009.
- 26- حسام الدين على مجيد، اشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر، ص264، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2010.
- 27- المصدر نفسه، ص271.
- 28- سلافوي جيجيك، العنف تأملات في وجوه الستة، ص109، ت: فاضل جكتر، ط(1)، م/ فايز القنطار، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2017.
- 29- المصدر نفسه، ص110.
- 30- المصدر نفسه،، هامش رقم (3).
- 31- المصدر نفسه، ص112.

- 32- المصدر نفسه، ص116.
- 33- المصدر نفسه، ص117.
- 34- المصدر نفسه، ص130.
- 35- المصدر نفسه، ص130.
- 36- المصدر نفسه، ص131.
- 37- المصدر نفسه، ص134.
- 38- المصدر نفسه، ص139.
- 39- المصدر نفسه، ص143.

